بسم الله الرحمن الرحيم

التَّحْذِيرُ مِنْ خُطُورَةِ التَّكْفِيرِ ١٧ رَجَبٍ ١٤٤٦هـ

عِبَادَ اللهِ: تُحِيطُ بِالْمُسْلِمِينَ مِحَنٌ عُظْمَىٰ وَفِتَنٌ شَتَّىٰ، لَا عَاصِمَ مِنْهَا إِلَّا اللُّجُوءُ إِلَىٰ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، وَالتَّوْبَةُ الصَّادِقَةُ إِلَيْهِ، وَالْإِنَابَةُ الصَّحِيحَةُ إِلَيْهِ عَزَّ شَأْنُهُ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾. إِنَّهُ لَا نَجَاةَ مِنْ مِحْنَةٍ وَبَلِيَّةٍ إِلَّا بِتَحْقِيقِ طَاعَةِ اللهِ ﷻ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ فِي كُلِّ شَأْنٍ مِنَ الشُّؤُونِ، فَبِذَلِكَ يَدْفَعُ اللهُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ الْبَلَاءَ وَالْمِحَنَ، وَيَدْرَأُ عَنْهُمُ الْفَسَادَ وَالْإِحَنَ، أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ».

إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ: إِنَّ الضَّرُورَةَ تَشْتَدُّ فِي مِثْلِ تِلْكَ الْأَحْوَالِ إِلَىٰ التَّمَسُّكِ بِأَصْلِ الْإِسْلَامِ الْأَعْظَمِ: فَرِيضَةِ الِاجْتِمَاعِ عَلَىٰ الْحَقِّ، وَالتَّعَاوُنِ عَلَىٰ الْخَيْرِ، وَالِاتِّحَادِ عَلَىٰ كُلِّ نَافِعٍ دُنْيًا وَأُخْرَىٰ، ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾.

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْمُصَادَمَةِ لِمَقَاصِدِ الْإِسْلَامِ وَتَوْجِيهَاتِهِ: تَفَرُّقَ الْمُسْلِمِينَ وَاخْتِلَافَ قُلُوبِهِمْ، وَتَنَافُرَ تَوَجُّهَاتِهِمْ فِيمَا يَصْرِفُهُمْ عَنِ الْمَنْهَجِ الْوَضِيءِ، الَّذِي أَمَرَ اللهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾. فَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ وَدَمَارٌ، وَالشِّقَاقُ ذُلٌّ وَعَارٌ، وَالتَّنَازُعُ فَشَلٌ وَخَسَارٌ؛ وَلِهَذَا يَقُولُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾. فَلَا سَلَامَةَ لِمُجْتَمَعٍ مُسْلِمٍ مَعَ تَفَرُّقِ الْكَلِمَةِ، وَلَا نَجَاةَ لِلْمُؤْمِنِينَ مَعَ تَشَتُّتِ وِحْدَتِهِمْ، وَلَا عِزَّةَ وَلَا رِفْعَةَ لَهُمْ مَعَ تَفْوِيتِ الْأُلْفَةِ وَالْأُخُوَّةِ الْإِيمَانِيَّةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾. أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ أَحْمَدُ شَاكِرٍ رَحِمَهُ اللهُ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: خَطَبَنَا عُمَرُ بِالْجَابِيَةِ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قُمْتُ فِيكُمْ كَمَقَامِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِينَا فَقَالَ: «عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ، وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ، مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَذَلِكُمُ الْمُؤْمِنُ».

شَبَابَ الْإِسْلَامِ: أَنْتُمْ عِمَادُ الْأُمَّةِ وَرِجَالُ الْمُسْتَقْبَلِ، فَاحْذَرُوا كُلَّ طَرِيقٍ يُوصِلُ إِلَىٰ تَفْرِيقِ الصَّفِّ، وَتَمْزِيقِ الشَّمْلِ، عَلَيْكُمْ بِالسُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَتَجَنَّبُوا الشُّذُوذَ وَالْفُرْقَةَ. قَالَ الشَّاطِبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الِاعْتِصَامِ» عَنِ الْخَوَارِجِ: إِذَا ابْتَدَعُوا تَجَادَلُوا وَتَخَاصَمُوا وَتَفَرَّقُوا وَكَانُوا شِيَعًا. وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾.

شَبَابَ الْإِسْلَامِ: اعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللهُ أَنَّ مِنْ عَوَامِلِ الزَّيْغِ وَعَوَامِلِ الضَّلَالِ فِي الْأُمَّةِ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَحِينٍ: الْوُقُوعَ فِي التَّسَارُعِ إِلَىٰ طَامَّةٍ عُظْمَىٰ وَبَلِيَّةٍ كُبْرَىٰ، زَلَّتْ بِهَا أَقْلَامٌ، وَضَلَّتْ بِهَا أَفْهَامٌ، وَسَقَطَ بِسَبَبِهَا فِي الْبَلَاءِ فِئَامٌ، إِنَّهُ التَّسَاهُلُ فِي تَكْفِيرِ أَهْلِ الْمُسْلِمِينَ. أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ»، وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ رَمَىٰ مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ». لَقَدْ حَذَّرَ النَّبِيُّ ﷺ أُمَّتَهُ بِأَعْظَمِ الزَّوَاجِرِ، وَأَشَدِّ الْمَوَاعِظِ، مِنَ التَّسَارُعِ فِي ذَلِكَ بِلَا بُرْهَانٍ أَوْضَحَ مِنْ شَمْسِ النَّهَارِ، وَبِلَا تَقْيِيدٍ بِالْقُيُودِ الْقُرْآنِيَّةِ وَالضَّوَابِطِ النَّبَوِيَّةِ.

شَبَابَ الْإِسْلَامِ: أَنْتُمْ عِمَادُ الْأُمَّةِ، وَصَمَّامُ أَمْنِهَا بَعْدَ اللهِ ﷻ، فَوِّتُوا عَلَىٰ أَعْدَاءِ الْمُسْلِمِينَ مَا يَصْبُونَ إِلَيْهِ مِنَ النَّيْلِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَفِي كُلِّ زَمَانٍ، مِنْ خِلَالِ شَبَابِهَا؛ لِيُشَوِّهُوا دِينَهَا. أَظْهِرُوا لِلْعَالَمِ كُلِّهِ مَحَاسِنَ دِينِ الْإِسْلَامِ، ادْعُوا إِلَىٰ اللهِ بِإِبْرَازِ أَخْلَاقِ الْإِسْلَامِ الْعُظْمَىٰ، وَإِظْهَارِ رَحْمَتِهِ الْكُبْرَىٰ، وَمَحَاسِنِهِ الَّتِي لَا تَتَنَاهَىٰ.

إِلَىٰ الْعُلَمَاءِ، وَطُلَّابِ الْعِلْمِ، وَالدُّعَاةِ: اتَّقُوا اللهَ فِي أَنْفُسِكُمْ، وَفِي شَبَابِ الْإِسْلَامِ، وَاجِبٌ عَلَيْكُمْ تَوْجِيهُ الشَّبَابِ إِلَىٰ مَا يَنْفَعُهُمْ دُنْيَا وَأُخْرَىٰ. حَذِّرُوهُمْ مِنْ كُلِّ مَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُوقِعَهُمْ فِيمَا لَا تُحْمَدُ عُقْبَاهُ، وَلَا يُعْلَمُ مَآلُهُ، إِمَّا مِنْ جَانِبِ النَّيْلِ مِنْ مُسَلَّمَاتِ الدِّينِ، وَإِمَّا مِنْ جَانِبِ الْفَتْوَىٰ بِمَا لَا يَسْتَقِيمُ مَعَ جَلْبِ مَصَالِحِ الْأُمَّةِ، وَدَرْءِ الْفَسَادِ عَنْهَا، وِفْقَ الضَّوَابِطِ الشَّرْعِيَّةِ، وَالْقُيُودِ الدِّينِيَّةِ، أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ».

وَالنَّظَرُ فِي مَآلَاتِ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ وَالتَّصَرُّفَاتِ قَاعِدَةٌ كُبْرَىٰ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ، خَاصَّةً فِي أَوْقَاتِ الْمِحَنِ وَالْإِحَنِ. فَكَمْ مِنْ فَتْوًىٰ فِي نَوَازِلِ الْأُمَّةِ لَمْ تُعْطَ حَقَّهَا مِنَ الْبَحْثِ وَالتَّأَمُّلِ، وَالْحِكْمَةِ وَالتَّرَوِّي، جَرَّتْ فِتَنًا عَمْيَاءَ، وَمِحَنًا شَتَّاءَ، خَاصَّةً إِذَا كَانَتْ مِنَ الْأَفْرَادِ. فَلَا بُدَّ مِنَ الْأَنَاةِ وَالْكِيَاسَةِ، وَلَا بُدَّ مِنَ الدِّقَّةِ وَالْحَصَافَةِ، لَاسِيَّمَا إِذَا اتَّقَدَتِ الْعَوَاطِفُ فِي الْأُمَّةِ، وَالْتَهَبَتِ الْمَشَاعِرُ فِي قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ.

إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ: عَظِّمُوا حُقُوقَ الْأُخُوَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَتَجَنَّبُوا أَذِيَّةَ الْمُسْلِمِينَ بِأَيِّ أَذِيَّةٍ صَغِيرَةٍ أَوْ كَبِيرَةٍ، فَذَلِكَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ، أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ».

إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ: بِالْأَمْنِ يَتَحَقَّقُ أَهْنَأُ عَيْشٍ، بِهِ تَحْصُلُ رَاحَةُ الْبَالِ، وَاسْتِقْرَارُ الْحَالِ، أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ، وَحَسَّنَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ مِحْصَنٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ مُعَافًىٰ فِي جَسَدِهِ، آمِنًا فِي سِرْبِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا».

فَعَلَىٰ أَبْنَاءِ الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ أَنْ يَكُونُوا يَدًا وَاحِدَةً فِي دَرْءِ الْمَخَاطِرِ وَالْأَضْرَارِ عَنْ مُجْتَمَعِهِمْ، وَصَفًّا مُتَرَاصًّا لِتَحْقِيقِ الْأَسْبَابِ الَّتِي يَدْفَعُ اللهُ بِهَا الْمَخَاطِرَ وَالشُّرُورَ، وَيَحْصُلُ بِهَا الْأَمْنُ وَالْأَمَانُ، وَيَسْعَدُ بِهَا بَنُو الْإِنْسَانِ، ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾.

عِبَادَ اللهِ: الْأَمْنُ وَالْأَمَانُ مَطْلَبٌ مِنْ مَطَالِبِ الْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ، فَكَيْفَ يَعِيشُ الْمَرْءُ فِي حَالَةٍ لَا يَجِدُ فِيهَا أَمْنًا وَلَا اسْتِقْرَارًا، وَكَيْفَ يَطِيبُ عَيْشُهُ إِذَا عُدِمَ الْأَمْنُ، وَهُوَ كَذَلِكَ ضَرُورَةٌ لِكُلِّ مُجْتَمَعٍ؛ حَيْثُ السَّلَامَةُ مِنَ الْفِتَنِ وَالشُّرُورِ وَالْآفَاتِ، وَبِهِ يَتَحَقَّقُ الِاطْمِئْنَانُ وَالسُّكُونُ، وَالرَّخَاءُ وَالِازْدِهَارُ، وَبِهِ تَسْتَقِيمُ الْمَصَالِحُ

وَتُحْفَظُ الْأَنْفُسُ، وَتُصَانُ الْأَعْرَاضُ وَالْأَمْوَالُ، وَتُأَمَّنُ السُّبُلُ، وَتُقَامُ الْحُدُودُ، وَبِفَقْدِهِ تَضِيعُ الْحُقُوقُ، وَتَتَعَطَّلُ الْمَصَالِحُ، وَتَحْصُلُ الْفَوْضَىٰ، وَيَتَسَلَّطُ الْأَقْوِيَاءُ عَلَىٰ الضُّعَفَاءِ، وَيَحْصُلُ السَّلْبُ وَالنَّهْبُ، وَسَفْكُ الدِّمَاءِ وَانْتِهَاكُ الْأَعْرَاضُ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَظَاهِرِ فَقْدِ الْأَمْنِ لِلْمُجْتَمَعِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: الْأَمْنُ نِعْمَةٌ عُظْمَىٰ، وَمِنَّةٌ كُبْرَىٰ، لَا يُدْرِكُ قِيمَتَهُ وَلَا يَسْتَشْعِرُ أَهَمِّيَّتَهُ إِلَّا مَنْ تَجَرَّعَ غُصَّةَ الْحِرْمَانِ مِنْهُ، وَاصْطَلَىٰ بِنَارِ فَقْدِهِ، فَوَقَعَ فِي الْخَوْفِ وَالْقَلَقِ، وَالذُّعْرِ وَالِاضْطِرَابِ وَالْفَوْضَىٰ وَالتَّشْرِيدِ وَالضَّيَاعِ، فَكَمْ مِنْ غَرِيبٍ فَقَدَ مَوْطِنَهُ، وَكَمْ مِنْ شَرِيدٍ غَابَ عَنْ أَهْلِهِ وَعَشِيرَتِهِ، وَكَمْ مِنْ مَنْكُوبٍ تَائِهٍ لَا يَعْرِفُ لَهُ مَأْوَىٰ، وَلَا يَشْعُرُ بِطُمَأْنِينَةٍ وَلَا اسْتِقْرَارٍ.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْوَاجِبَاتِ الرُّجُوعَ إِلَىٰ أَهْلِ الْعِلْمِ الرَّاسِخِينَ، الثَّابِتِينَ عَلَىٰ الْحَقِّ فِي النَّوَازِلِ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾، فَحُصُولُ الْأَمْنِ وَاسْتِقْرَارُهُ يَكُونُ بِمُعَامَلَةِ الْحُكَّامِ بِمَنْهَجِ السَّلَفِ، فَلَا يُخْرَجُ عَلَيْهِمْ، وَلَا يُنْصَحُونَ مِنْ عَلَىٰ الْمَنَابِرِ، وَلَا يُهْمَلُ نُصْحُهُمْ، وَلَا يُتْرَكُونَ لِبِطَانَةِ السُّوءِ، بَلْ يُنْصَحُونَ سِرًّا، أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي كِتَابِهِ «السُّنَّةِ» عَنْ شُرَيْحِ بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ: قَالَ عِيَاضُ بْنُ غَنْمٍ لِهِشَامِ بْنِ حَكِيمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَلَمْ تَسْمَعْ بِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ لِذِي سُلْطَانٍ فَلَا يُبْدِهِ عَلَانِيَةً، وَلَكِنْ يَأْخُذُ بِيَدِهِ فَيَخْلُوا بِهِ، فَإِنْ قَبِلَ مِنْهُ فَذَاكَ، وَإِلَّا كَانَ قَدْ أَدَّىٰ الَّذِي عَلَيْهِ»؛ فَإِنَّ تَرْكَ ذَلِكَ سَبَبٌ لِحِرْمَانِ النَّاسِ مِنَ الْأَمْنِ، وَإِرَاقَةِ الدِّمَاءِ، وَوُقُوعِ الْبَلَابِلِ وَالْفِتَنِ.

عِبَادَ اللهِ: يُحَاوِلُ أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ إِلْصَاقَ التُّهَمِ بِالْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ؛ حَيْثُ إِنَّهُمُ اتَّهَمُوا الْمُسْلِمِينَ بِالتَّعَصُّبِ وَالطَّائِفِيَّةِ، وَالْعُنْفِ وَالشِّدَّةِ. وَالْإِسْلَامُ بَرِيءٌ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ؛ فَهُوَ دِينُ الرَّحْمَةِ وَالْعَدَالَةِ، وَالتَّسَامُحِ وَالْمَحَبَّةِ. وَتَتَجَلَّىٰ هَذِهِ السَّمَاحَةُ وَالرَّحْمَةُ فِي صُوَرٍ شَتَّىٰ مِنْ حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ، فِي عِبَادَاتِهِ وَمُعَامَلَاتِهِ، وَفِي سُلُوكِهِ وَأَخْلَاقِهِ، مَعَ قَرَابَتِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَأَصْدِقَائِهِ وَأَعْدَائِهِ، فَكَانَ ﷺ رَحْمَةً لِلْخَلْقِ كُلِّهِمْ.